

مشكلات الترجمة في القرن الثالث الهجري

(الحيوان لأرسطو نموذجاً)

عصام محمد الشنطي (*)

(١)

مدخل:

أدرك العرب، في وقت مبكر، ضرورة الاتصال بثقافات الأمم الأخرى وعلومها، ممّن شاركوا في موكب الحضارة الإنسانية قبلهم، كالإغريق والفرس والهنود. فظهرت حركة الترجمة على أيديهم في أواخر العصر الأموي. ثمّ تصاعدت واتّسعت في العصر العباسي، فترجموا كثيراً من ضروب النتاج العلمي، بدفع وتشجيع من الخليفة في بغداد، الذي كان يحرص على الحصول على كتب تلك الأمم بشتى الطرق والوسائل. وكان يقدر جهد الترجمة، ويعلي مكافأتها. وأصبح «بيت الحكمة» في دار الخلافة، مركزاً نشطاً للترجمة والبحث العلمي. وكان المترجمون والورّاقون، في الحضارة العربية، لهم مكانة عالية لدى الخليفة.

وليس لنا أن نتصوّر أن هذا النشاط كان يسير في سهولة ويسر، كالمياه الجارية الرقاقة، لا يعترضها عارض. فالباحث المنقّب يستطيع الكشف عن هذه العوارض؛ ذلك أن المترجمين في بيت الحكمة - خاصة الأوائل منهم - لم يكونوا على أهبة الاستعداد لهذا العمل العلمي الدقيق، ولم

(*) خبير بمعهد المخطوطات العربية، مدير سابقاً.

يكونوا مؤهلين له؛ لأنهم على غير دراية كافية باللغة الإغريقية التي يُترجم منها، ولا باللغة العربية التي يُترجم إليها، إضافة إلى أساليبها المختلفة.

وشاب هذا العمل ظاهرة غريبة، وهي ظهور لغة وسيطة، إذ كانت الترجمة تُنجز على مرحلتين. لقد كان السريان في العراق على احتكاك بالعلوم الإغريقية، وعلى دراية ما بلغتهم، فكانوا يترجمون من لغتهم إلى العربية. وقد ذكرت المصادر مراكز قديمة تُعدُّ بمثابة مدارس لتخريج هؤلاء المتخصصين، مثل الرها ونصيبين وغيرهما.

لقد وقعت على نصّ نفيس تنبّه إلى هذه الوساطة الغريبة، التي عبث بالنصّ، وفتت وحدته، فأسلمته إلى غموض وشكوك. فهذا هو أبو حيّان التوحّدي (ت ٤١٤هـ / ١٠٢١م) يروي لنا ما قاله شيخه أبو سليمان محمد ابن طاهر بن بهرام السّجستاني (ت نحو ٣٨٠هـ / ٩٩٠م) الذي كان فيلسوفاً ومنطقياً ولغوياً، وصاحبَ نظريّ عميق في الأمور، قال في الترجمة غير المباشرة: «على أن الترجمة من لغة يونان إلى السريانية، ومن السريانية إلى العربية، قد أخذت بخواصّ المعاني في أبدان الحقائق، إخلالاً لا يخفى على أحد. ولو كانت معاني يونان تجسّ في أنفس العرب مع بيانها الرائع، وتصرفها الواسع، وافتنانها المعجز، وسعتها المشهورة، لكانت الحكمة تصل إلينا صافية بلا شوب^(١)، وكاملة بلا نقص. ولو كنا نفقه عن الأوائل أغراضهم بلغتهم، لكان ذلك أيضاً ناقعاً للخليل، وناهجاً للسيل، ومبلغاً إلى الحدّ المطلوب^(٢)».

والحق أن ترجمة النصوص، خاصة العلمية منها، كانت تقف عائقاً في

(١) اختلاط وعبوب.

(٢) المقابسات، المقابلة ٦٣، ص ٢٥٨.

سبيل نجاح المترجم. لقد كان هذا الميدان بِكْرًا، وكان ابن البَطْرِيق يُصَدِّمُ
بكثير من هذه المعاني، ويَحَارُ كيف يُوَدِّعُها، وهو - كما قلنا - على غير معرفة
بالعربية وأساليبها حقَّ المعرفة، فكان يعاني في نقل المعاني، ويلجأ إلى نقل
الأسماء العلمية، كما هي بالإغريقية، يُوَدِّعُها بحروف عربية.

وبلغ من سوء هذه الترجمات أن برز في تراثنا ظاهرة أخرى، فوجدنا
تكرارًا في ترجمة الكتاب الواحد، للمؤلف نفسه، غير مرَّة، حين تتضح
المعرفة بسوء هذه الترجمة، أو تلك، وغموض معانيها، ممَّا يصعب على
القارئ فهمها.

وستتناول في هذا البحث مشكلات ترجمة كتاب «الحيوان» المشهور،
لأرسطو (ت ٣٢٢ ق.م)، متَّخِذِينَ كتاب الجاحِظ، عمرو بن بحر
(ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م) في الحيوان نموذجًا لعرض هذه المشكلات. لأن
الجاحِظ كشف في كتابه عمَّا قابله من صعوبة لوصول المعلومة إليه على
حقيقتها، كما وضعها أرسطو في كتابه.

(٢)

النسخة العربية:

من المؤكَّد أن النسخة المترجمة إلى العربية من كتاب «الحيوان» لأرسطو
التي اطلَّع عليها الجاحِظ كانت بترجمة ابن البَطْرِيق عن السُّريانية. وأنَّ آخرَ
قَبْلَه ترجمه من الإغريقية إلى السُّريانية.

ومن المؤكَّد أيضًا أنه لم يصل إلينا، لا في عهد الجاحِظ ولا إلى أيامنا
هذه، غير هذه الترجمة.

غير أن النديم (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م) يذكر في كتابه «الفهرست»^(١) أن أبا علي عيسى بن زُرْعَةَ (ت ٣٩٨هـ / ١٠٠٨م) - وهو معاصره - قد ابتدأ بنقله إلى العربية وتصحيحه. ويبدو أن ابن زُرْعَةَ هذا قد أكمل ترجمته؛ لأن أبا الحسن علي بن يوسف القِفْطِي (ت ٦٤٦هـ) يقول في كتابه «إخبار العلماء بأخبار الحكماء»^(٢)، وبينه وبين النديم وابن زُرْعَةَ أكثر من قرنين: ملكت منه نسخة. وبعيداً عن الخلاف في فهم عبارته، فإنَّ هذه الترجمة - في كل الأحوال - لم تصل إلينا.

إن الذي وصل إلينا من كتاب أرسطو بترجمة ابن البِطْرِيق يشتمل على تسع عشرة مقالة، بين أيدينا نشرها محققةً في ثلاثة أجزاء، أذكرها على وَفْق صدورها:

(أ) كَوْنُ الحيوان (أو ولاد الحيوان): يشتمل على خمس مقالات (من ١٥-١٩)، تحقيق «يان بروخمان» و «يوان دُرْدَسَارْت لُولُوفْس»، مؤسسة دي خوي، بريل، ليدن، ١٩٧١م.

(ب) طِبَاعُ الحيوان: يشتمل على عشر مقالات (من ١١٠) تحقيق عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٨م^(٣).

وبهذا جُمِعَ شتات الكتاب بترجمة ابن البِطْرِيق محققاً ما بين سنتي ١٩٧١ - ١٩٧٨م، وعليها اتكأ البحث واعتمد.

(١) ٢٥١/١.

(٢) ص ٤١.

(٣) كشف الظنون ٢/ ١٣٩٤، ١٤٣٥، ١٤٥٥، ويُذكر أن حاجي خليفة يضيف في الموضع الأخير «تناسل الحيوان» في مقالتين، ليصبح المجموع عنده إحدى وعشرين مقالة، وليس تسع عشرة. وانظر أيضاً ١/ ٦٩٦.

(٣)

المُترجم:

هو أبو زكريا يوحنا (يحيى) بن البَطْرِيق (ت نحو ٢٠٠هـ/ ٨١٥م). وقد سبقه أبوه البَطْرِيق في الترجمة. وكان ابن البَطْرِيق سُريانيًا نصرانيًا، وقد دخل الإسلام، أمّا أبوه فقد بقي على نصرانيته.

ويُعدُّ ابن البَطْرِيق في «جملة الحَسَن بن سهل». وكان من موالى الخليفة المأمون، الذي بلغت الترجمة في عهده أوجَ عزّها. وعُدَّ هذا المترجم من التّراجمة الأوائل الذين أنجزوا كثيرًا من أعمال الترجمة في كَنَف «بيت الحكمة».

ويبدو أنه كان مَن يُوثق بهم في الترجمة والنقل. فقد أنفذه الخليفة المأمون إلى ملك الروم، مع جماعة، لإحضار ما يختارونه من كتب العلوم القديمة المدخرة ببلادهم. ولمّا عادوا بها وجدوا، أمرهم الخليفة بنقله، فقاموا بذلك^(١).

وقد وُصف بأمانته في الترجمة، وبحسن أداء المعاني. كما وُصف بلكنته اللسانية في العربية. وكانت الفلسفةُ أغلبَ عليه من الطب، الذي كان من تخصص أبيه. وقد تولّى الابنُ كتبَ أرسطو خاصة. ويُعدُّ كتابه «الحيوان» أهم هذه الكتب التي ترجمها، وأكبرها حجمًا.

ولا شكَّ في أن ابن البَطْرِيق كان يتقن السُّريانية، وعلى دراية طيّبة بالإغريقية. ولكنَّ العربية تعلّمها اكتسابًا بغرض الترجمة إليها، ولم يبلغ فيها

(١) الفهرست ١/ ٢٤٣.

مبلغ لغته الأم. وكان يلقي صعوبة بالغة في التعبير عن الأفكار المترجمة، وقد اتخذ أسلوباً خاصاً، وعُرف في ترجمته بعبارات وألفاظٍ تناسب المعاني التي يريد أدائها. ولعلَّ مثل هذه الصعوبة كانت شائعة لدى السُريان، فقد ذكر النديم أمثلة عليها^(١).

(٤)

الترجمة في الميزان:

ذكر النديم^(٢) الكتاب بترجمة ابن البطريق إلى العربية، وقال: «وقد يوجد سُرياني نقلاً قديماً أجود من العربي». وكأنه يعرّض بترجمته إلى العربية، بدليل ما ذكره من ابتداء أبي علي بن زُرعة بنقله إلى العربية وتصحيحه. وابن زُرعة هذا معاصر للنديم في القرن الرابع الهجري، على نحو ما ذكرنا قبل قليل.

وأول من كشف هذه السليبات من القدامى الجاحِظ نفسه، حين استعان في تأليف كتابه «الحيوان» بكتاب أرسطو، بترجمة ابن البطريق نفسها إلى العربية. ولا يعني أن نعرض لكتاب الجاحِظ في الحيوان. ذلك الكتاب الشهير الضخم الذي أُلّف في الشطر الأخير من حياته، ليس بعده إلا كتابه «البيان والتبيين». فقد كان في سنّ عالية، ويعاني من مرض وصفه بنفسه: «أنا من جانبي الأيسر مفلوج، فلو قُرِض بالمقاريض ما علمتُ به، ومن جانبي الأيمن مُنْقَرَس، فلو مرَّ به الذُّبابُ لأَلِيت». وحسبنا أن نقول قوله أبي الفضل بن العَميد في علوّ كتب الجاحِظ: إنها تعلّم العقل أولاً، والأدب

(١) الفهرست ٢٤٤/١.

(٢) الفهرست ٢٥١/١.

ثانيًا^(١). وأقول إن كتابه في الحيوان أوّل الكتب وأولاها لتؤكد هذه المقولة وتأخذ بها.

ومهما يكن الأمر، فإنّ الذي يهمنّا في كتاب الجاحظ أنّه اطلّع على النسخة العربية من كتاب الحيوان لأرسطو بترجمة ابن البُطريق. وكان المصدر الأهمّ من مصادره، خاصة العشر المقالات الأولى من كتاب أرسطو، الذي عُرف بـ «طَبَاع الحيوان»؛ لأنّ اقتباساته من هذا الجزء واضحة للعيان، وهي مادة تتعلّق بالمعارف العامة للحيوان غير المتخصصة، وفيها طلبه الجاحظ لبثّها في كتابه.

والجاحظ، في غير موضع من كتابه، وجّه نقدَه إلى المترجمين ونقّلة علوم الإغريق وغيرها. وقد جاءت هذه المواقف النقدية على أثر ما عاناه عند الانتفاع بكتاب أرسطو.

وكان الجاحظ عند اقتباساته من أرسطو يناقشه مناقشة عالم قويّ الحجّة. وكانت حجته - في الغالب - مبنية على تحكيم العقل، وعلى التجربة بمشاهدة العيان. غير أنه كان - حيناً - يعتذر عن بعض أقوال أرسطو، وينسب الخطأ فيها إلى سوء الترجمة والنقل، بالإضافة إلى عبث النُسخ، وما يحدثونه من أسقاط، ومن تصحيف وتحريف. وكان يتهّم المترجمين بعدم توخّي الدقة والمطابقة، وكذلك يتهّمهم بالكذب والزيادة، وإفساد الكتب التي يترجمون^(٢)

وقد رأى الجاحظ - بنظره الثاقب - صعوبة الترجمة والنقل في العلوم

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٤٧٣.

(٢) الحيوان، الجاحظ ٦/ ١٩، ٢٨٠؛ ٢/ ٥٢.

المختلفة كالهندسة والتنجيم والحساب. وقال إنَّ الترجمة تحتاج إلى قدرة علمية فائقة لتصل إلى مستوى مؤلّف الكتاب المُراد ترجمته. وذكّر من الأمثلة ما يدلّ فيه على ضعف هؤلاء المترجمين. وتساءل متى كان ابن البَطرِيق وغيره من المترجمين مثل أرسطو؛ ومتى كان خالد بن زيد بن معاوية بن أبي سُفيان - على فصاحته - حين ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء مثل أفلاطون؟

وقد بلغت معاناة الجاحِظ من سوء الترجمة مبلغاً كبيراً، حاول بإزائه أن يضع بعضُ الأصول والقواعد، ويذكر الشرائط التي ينبغي أن تتوفر في المترجمين، الأمر الذي يجعلنا نزعّم أنه حاول أن يعالج الترجمة علماً من العلوم، لا مهنة من المهن.

ومما ذكر من هذه الأصول أن يكون المترجمُ أعلمَ الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها. وقرّر صعوبة أن يصل المترجم فيهما إلى درجة متساوية؛ لأنَّ إتقانَ الثانية سيكون - في رأيه - على حساب إتقانه اللغة الأولى.

ومن شروطه أن يكون المترجم على معرفة تامّة ودراية وافية بالعلم موضوع الكتاب الذي يترجمه. وكانت ثقته بالمترجمين ضعيفة؛ لأنك - بقوله - لن تجد ألبتّة مترجماً يفني بواحدٍ من هؤلاء العلماء.

أما الشعر فقد أفتى فيه باستحالة ترجمته ونقله، وكذلك كتب الدين والتوحيد والقرآن؛ لأنَّ الخطأ في تأويل معانيها، أضرُّ من الخطأ في الموضوعات الرياضية والصناعية والفلسفية والكيميائية وغيرها^(١).

(١) الحيوان، الجاحِظ ١/ ٧٥-٧٨.

ويضرب الأمثال في الترجمة والنقل من الإغريقية إلى العربية. وكان في طليعة ما يقصد كتاب أرسطو في «الحيوان»؛ لأنه عانى من ترجمة ابن البطريريق ما عانى. وكانت أحكامه من خلال التجربة والممارسة.

ولم يكتفِ الجاحِظُ بنقد المترجمين، ووضع شرائط لعملهم، على نحو ما ذكرنا قبل قليل، بل أدرك صعوبة ترجمة كتب العلوم، ومنها كتاب أرسطو في «الحيوان»، بما فيه من لغة جديدة على اللغة العربية، وكذلك أسماء الحيوان والنبات وغيرها من المصطلحات العلمية. وحاول تطوير اللغة العربية لتقبل حقائق علمية جديدة، مع المحافظة منه على أصول هذه اللغة. وهو أمر قَصَّر فيه المترجمون، وكانت هذه بمثابة عوائق في سبيل الترجمة.

وكانت قدرة الجاحِظ اللغوية - وهو زعيم البيان والفصاحة - قد أهَّلتَه إلى مثل هذه المحاولة. وكان كثيرًا ما يصطدم بعُجْمة ابن البطريريق وتعبيراته الغامضة، فيصحح العبارة ما أمكنه ذلك.

والأمثلة كثيرة على غموض عبارة المترجم، منها:

يقول المترجم في وصف الحرباء: «وإن شُئَّ جسده أخذ يقيم حينًا يفعل الفعل الذي يفعل بروحه».

وعند الرجوع إلى الأصل الإغريقي نراها تعني:

«استمرَّ تنفُّسه يعمل وقتًا طويلاً».

وأتى غموض عبارة المترجم من التزامه بالترجمة الحرفية تمامًا^(١).

ولننظر إلى عُجْمة ابن البطريريق في عبارته التالية:

(١) طباع الحيوان، ص ٧٣.

«ولكن ليس في مكان واحد هو فهو»^(١). ويقصد:

«ليس في نفس المكان». وواضح أن المترجم غاب عنه أدوات التوكيد المعروفة في العربية.

لقد حرص الجاحظ على أن تبقى اللغة العربية قادرة على التعبير عن هذه المصطلحات العلمية، والألفاظ الجديدة. واستطاع أن يؤدي الترجمة بأسلوب فصيح ناصع. والأمثلة متوافرة على تصرّف الجاحظ في عبارات ابن البَطرِيق في ترجمته، وكان يعيد صياغة أسلوب المترجم، ويخلص النص من الغموض والحلّ والتجاوز. ويقول ابن البَطرِيق عن فعل الخنازير في تلطيخ أجسامها بالطين: «فإذا جفّ ذلك الطين تَوَاقَعَ لَطَخْتَهُ بغيره». ويعلق محقق «طَبَاع الحيوان» على عبارته: «تَوَاقَعَ لَطَخْتَهُ بغيره» أنها غير مفهومة، ولا مقابل لها في الأصل اليوناني. وحين قرأ عبارة الجاحظ: «فإذا تساقط عاد فيه» أعجب بها وعدّها مفهومة وواضحة^(٢). ومثل هذا كثير في إصلاح الجاحظ لغة ابن البَطرِيق، التي جنح فيها هذا المترجم إلى ألفاظ شيع بين العامة.

وواضح أنه كان يغلب على ابن البَطرِيق وغيره من المترجمين الأوائل، العجلة وسرعة الإنجاز، دون الحرص على سلامة اللغة العربية ونصاعتها. بالإضافة إلى أن ابن البَطرِيق وزملاءه من الرّعيّل الأول من المترجمين، لم يكونوا يتقنون العربية إتقاناً كافياً^(٣).

(١) طباع الحيوان، ص ١٧٠.

(٢) طباع الحيوان، ص ٢٨٧؛ والحيوان، الجاحظ ٤ / ٥٤.

(٣) انظر منقولات الجاحظ عن أرسطو في كتاب «الحيوان»، ص ٨٨-٩٦.

محاولات كشف معاصرة:

لعلّ من أوائل المعاصرين الذين تتبعوا هذه الترجمة، وكشفوا عمّا يشكو منه الجاحظ من سوء الترجمة، د. محمد طه الحاجري في مقالاته التي نشرها^(١). وقابل فيها كتاب «الحيوان» لأرسطو، في ترجمته بالفرنسية لـ سانتيير، وترجمة دارسي ونتورث طومسون Darcy Went Worth Thom Pson بالإنكليزية عن أصول إغريقية، بالنصوص الواردة في كتاب «الحيوان» للجاحظ^(٢)، التي ذكرها على أنها من أقوال أرسطو. ويُذكر أن النص العربي لكتاب أرسطو، لم يكن قد ظهر بعد.

فالحاجري حين عرض في مقالاته سبعين نصّاً، كان ينتهي عند كثير منها إلى فروق و خلط وعدم دقة وتحريف وتصحيف واضطراب وتناقض، ممّا ورّث، في غير موضع، غموضاً وانبهاً. وأرجع بعضّها إلى عبث ابن البَطْرِيق المترجم، وبعضها إلى تصرّف النُّسَّاح وسوء صنيعهم، على نحو ما أشار إليه الجاحظ فيما ذكرنا قبل قليل.

ويلى محاولة الحاجري محاولة «يان برؤخمان» و «يوان دُروسارت لُولوفس»، بالإنكليزية، اللّذين حقّقا الجزء الثالث (وهو الأخير) من كتاب «الحيوان» لأرسطو (من المقالات ١٥١٩) بنصّه المترجم من الإغريقية

(١) في مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، المجلدين السادس والسابع، ١٩٥٢-١٩٥٣م، والمجلد الثامن، ديسمبر ١٩٥٤م. ومجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، الجزأين التاسع والعشرين، مارس ١٩٧٢م، والثاني والثلاثين، نوفمبر ١٩٧٣م.

(٢) بتحقيق عبد السلام هارون.

(بوساطة السريانية) إلى العربية، والتي تُسبِت إلى ابن البَطْرِيق، وقد سَمَّيَا هذا الجزء من الكتاب «كُون الحيوان»^(١).

على أن الإشارات التي جاءت في مقدمة المحقّقين بالإنكليزية إلى اضطراب الترجمة مقارنة بكتاب الجاحِظ، كانت عابرة وغير مفيدة للأمر الذي ننتهي إلى تأكيده. ويرجع السبب في ذلك إلى أن الجاحِظ، وإن كانت ترجمة ابن البَطْرِيق كاملةً بين يديه، إلّا أنه لم يستفد ولم يقتطف إلّا من الجزء الأول (من المقالة ١-١٠)، الذي سمي بـ«طَبَاع الحيوان»، ومن هذا الجزء يحقّ لنا أن نُقَابِل ونُقَارِن، ونستفيد من هذه المتابعة.

والمحاولة الثالثة المجدية هي صنيع د. عبد الرحمن بدوي في تحقيقه جزأيّ كتاب أرسطو في ما عُرف بـ«طَبَاع الحيوان» (من المقالة ١-١٠)، و«أجزاء الحيوان» (من المقالة ١١-١٤) بترجمة ابن البَطْرِيق^(٢).

وكان الانتفاع من الكشف عن سوء الترجمة وأغلاطها وخلطها محقّقاً، خاصةً في الجزء الأول «طَبَاع الحيوان» المتضمن المقالات العشرة الأولى من كتاب أرسطو؛ لأنه قصد في كتابه تقديم معارف عامة عن الحيوان لا معلومات علمية متخصصة. وفيه كثيراً ما كان يكتب المحقّق في الحواشي عبارة: الترجمة غير صحيحة، وصوابها كذا...

ورابع هذه المحاولات للدكتورة وديعة طه النجم التي قصّدت في كتابها: «منقولات الجاحِظ عن أرسطو في كتاب الحيوان»^(٣)، إلى المقابلة

(١) مؤسسة دي خوي، بريل، ليدن، ١٩٧١ م.

(٢) صدرا في الكويت، ١٩٧٧، ١٩٧٨ م.

(٣) منشورات معهد المخطوطات العربية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م.

قَصْدًا، بهدف كشف التماثل بينهما. وبالتالي كشفت، بكل وضوح، عن سوء الترجمة التي نزعناها. وإن لاحظت أن تطابق النصين، في بعض الأحيان، لم يتيسر لها، لأسباب في مقدمتها أن الترجمة التي بين أيدينا ليست متكاملة، بل يعتورها شيء كبير من النقص والتحريف^(١)، ومن ثم يُفضي إلى الارتباك والغموض وعدم الوضوح.

(٦)

أمثلة من التجاوزات:

تجاوزات المترجم كثيرة، وليس من المفيد سردها جميعًا، وحشو صفحات هذا البحث بها. ونكتفي بعرض نماذج منها تكشف عن أنواع هذه التجاوزات وأشكالها المختلفة.

- تسقط عبارة من الترجمة العربية عن الأصل الإغريقي، وينقل الجاحظ العبارة دون السَّقْط، فيحدث خَلَلًا في نص الجاحظ.

يقول الجاحظ: «وذكر صاحب المنطق^(٢) أن الطير الكبير الذي يسمّى باليونانية «اغتيولس» يُحْكِمُ عُشَّهُ وَيُتَقَنُّه، ويجعله مستديرًا... وروي أنهم يزعمون أن هذا الطائر يجلب الدَّارِصِينَ من موضعه، فيفرش به عُشَّهُ»^(٣).

وحين نعود إلى «طَبَاعُ الحَيَوَان»^(٤) لأرسطو نجد النصّ على النحو التالي: «فأما الطير الذي يسمّى باليونانية «افثوليدس»... فهو يهيئُ عُشَّهُ

(١) منقولات لجاحظ...، ص ٦٩.

(٢) يقصد: أرسطو.

(٣) الحيوان، الجاحظ ٥١٥/٣.

(٤) ص ٤٠١.

بهيئة مُحكمة جدًا... وقد زعم بعض الناس أنَّ... طائرًا يدعى باليونانية «كنامومون»... وأنَّ هذا الطير يجلب الدَّارَ صينيًّا من موضعه ويفرُّش به عُسَّه».

- جاء عند الجاحِظ لفظة «طَبَقُون» على أنها بلدة يونانية نقلًا عن الترجمة العربية^(١).

وفي «طَبَاع الحيوَان»^(٢) أنَّ اللفظة «صَلْفِيُون»، وهو اسم نبات.

- يقول المترجم: «فأَمَّا الشاةُ والعنز، فهِي تنزو من سنتها». والأصَحُّ أن يقال: فهما ينزوان عليهما من سنتهما^(٣).

- صُحِّفَت كلمة الذئاب إلى ذباب. فارتبك المعنى وانتقل من الحديث عن الذئاب إلى الحديث عن الذباب^(٤).

(٧)

خاتمة:

أصبح من المسلَّات أنَّ الترجمةَ عمليةً مزدوجة، بها تأخذ، وبها تُعطي. وهي وسيلة تواصل بين الأمم، وعامل مهم من عوامل النهضة للأمم كافة.

ونحتاج إلى إنشاء معاهد قومية نموذجية، لإعداد المترجمين الأكفاء،

(١) الحيوَان، الجاحِظ ٤/ ٢٢٧.

(٢) ص ٣٦٨.

(٣) طَبَاع الحيوَان، ص ٢٢٥.

(٤) طَبَاع الحيوَان، ص ٢٠٥ وصَحَّحَ المحقِّق «التصحيف» عن اليونانية.

وأداء أعمال الترجمة بأمانة ودقة، مع وضوح وسلاسة، على أن يكون المترجم عند أدائه في مستوى المؤلف من الناحية العلمية. كل ذلك على وفق خطط مبنية على حاجة الأمة إليها.

ولا شك أن حركة الترجمة التي بلغت أوجها في العهد العباسي، كانت حركة باعثة على النهضة، ونقل علوم الأمم الأخرى. شجّعها الخليفة بتوفير كتب الأوائل التي ينبغي أن تُترجم؛ ومنَحَ على الترجمة أعلى المكافآت، ولكنَّ كفاءة المترجم ودقته وأمانته في أدائه لم تكن متوفرة، كما ينبغي أن تكون، لذلك فإننا نلقى شيوع ظاهرة تعدد الترجمات للكتاب الواحد، في مختلف الأزمان، على نحو ما ذكرنا في صدر هذا البحث.

وقد كشف الجاحظ عن عيوب هؤلاء المترجمين وضعفهم، وعدم مطابقة ما يترجمون. واتهمهم بالكذب والزيادة. بالإضافة إلى عبث النسخ، وتحريفاتهم وتصحيقاتهم. وقد حاول أن يضع شروطاً للترجمة والمترجمين، على أن هذه العملية ينبغي أن تخضع لشرائط العلم، لا المهنة.

وأكدَ عَوَارَ المترجمين أيضاً، باحثون محدثون ومعاصرون، ذكرنا أطرافاً من تتبعهم لترجمة كتاب أرسطو في «الحيوان». وبسطوا الأمثلة الدالة على سوء الترجمة هذه.

وبالرغم من الفائدة الكبرى التي جُنيت من حركة الترجمة في العهد العباسي، فإنها تجربةٌ تعلَّم تجنَّب سلبياتها، وهَجَرَ عشوائياتها وأخطائها.

* * *

المصادر والمراجع:

- أجزاء الحيوان، لأرسطو، ترجمة يوحنا بن البطريرق، تحقيق د. عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٨م.
- إخبار العلماء بأخبار الحكماء، لأبي الحسن علي بن يوسف القفطي، نشرة لبرث، ط. ليبزج، ١٩٠٣م.
- الحيوان، للجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ط. مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- طبائع الحيوان، لأرسطو، ترجمة يوحنا بن البطريرق، تحقيق د. عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٧م.
- الفهرست، لابن النديم، تحقيق د. محمد عوني عبد الرؤوف، ود. إيمان السعيد جلال، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٦م.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبد الله، الشهير بحاجي خليفة، وبكاتب جلبي، الط. التركية - إسلامبول، ١٣٦٠-١٣٦٢هـ مصورة بالأوفست، مكتبة المثنى - بغداد، بيروت.
- كَوْن الحيوان (أو ولاد الحيوان)، لأرسطو، ترجمة يوحنا بن البطريرق، تحقيق بروخان، ولولوفس، مؤسسة دي خوي، بريل، ليدن، ١٩٧١م.
- مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، المجلدات السادس والسابع والثامن، ١٩٥٢-١٩٥٤م.
- مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، الجزآن التاسع والعشرون، والثاني والثلاثون، مارس ١٩٧٢م، نوفمبر ١٩٧٣م.
- المقابسات، لأبي حَيَّان التوحيدي، ط. حسن السندوبي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٢٩م.
- منقولات الجاحظ عن أرسطو في كتاب «الحيوان» - نصوص ودراسة، د. وديعة طه النجم، منشورات معهد المخطوطات العربية، الكويت، الط. الأولى، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- وفيات الأعيان (وأبناء أبناء الزَّمان)، لابن خَلِّكان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٧٧م / ١٣٩٧هـ.

